الآثار العقدِية للرِّواية الإسرائيلية في قصة آدم عليه السلام

د. عبد الحميد كردي* أ.د. راجـــح كـــــردي**

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٨/٦/٢٦م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٨/١١/١٨م

ملخص

وردت الروايات الإسرائيلية في كتب التفسير وكانت دخيلة عليها، وكثُرت هذه الروايات في القصص القرآني، خصوصاً ما تعلق منه بقصص الأنبياء، وكثير من هذه الروايات كان لها أثر سلبي في فهم النصوص القرآنية، والأخذ بها يؤثر في العقيدة من حيث الطعن في تنزيه الله تعالى، والطعن في عصمة الأنبياء والرسل –عليهم السلام–، ومن المعلوم أن الإيمان بالأنبياء والرسل ركن من أركان الإيمان، كما أن الإيمان بالكتب أيضا ركن من أركان الإيمان، وبالتالي الأخذ بهذه الروايات بمجملها دون تمحيص وتدقيق لها له أثر سلبي في الإيمان، ومن ناحية أخرى جاء هذا البحث؛ ليبين الخلل في الروايات الإسرائيلية في قصة محددة بوصفه أنموذجاً على خطورة الأخذ بها؛ وهي قصة آدم عليه السلام؛ في طبيعة خلقه وصورته، وأكله من الشجرة، ونسبة الشرك إليه، وخطورة ذلك على عصمة الأنبياء وعلى الاعتقاد، وبين البحث ضرورة تنقيح القصص القرآني من مثل هذه الروايات، وبيان خطرها، وأوصى بضرورة البحث فيها في القصص القرآني.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الروايات الإسرائيلية، القصص القرآني

Abstract

The Isrealite Narrations were contained in the books of interpretation and were extraneous to them, and these Narrations abounded in the Qur'anic stories, especially with regard to the stories of the prophets, and many of these Narrations have had a negative impact on the understanding of the Qur'anic texts, and their introduction affects the dogma in terms of stabbing in Allaah's Tensezia(reverence), and stabbing in a neurotic Prophets and Messengers of peace, it is known that faith in prophets and messengers is a Pillars of Faith, and the belief in books is also a Pillars of Faith, thus the introduction of these Narrations in their entirety without scrutiny and scrutiny has a negative effect on faith, and on the other hand this research came to show the imbalance in The Israeli Narrations in a specific story as a model of the seriousness of its introduction; it is the story of Adam, in the nature of his creation, his image, his eating from the tree, and the proportion shirk to him, and the gravity of that on the prophets and belief, and the need to revise the Qur'anic stories of such Narrations, and to indicate their danger.

* أستاذ مشارك، كلية الحقوق، جامعة عمان الأهلية.

** أستاذ، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية (سابقاً).

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن مسألة الروايات الإسرائيلية في كتب التفسير والتراث الإسلامي بعموم كانت من المسائل التي أثرت في فهم النص القرآني سواء أكان التأثير إيجابيا أو سلبياً وإن كان يغلب عليه الأثر السلبي. وقد ظهر هذا الأثر جليا فيما يتعلق بقصص الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–، لذا كانت الحاجة ماسة للبحث فيه وتنقية ما شاب قصص الأنبياء مما يؤثر فعلا في عقيدة المسلم في فهمه لطبيعة الإيمان بالرسل –عليهم الصلاة والسلام–، وبالتالي تنقية فهمه لصفات الأنبياء –عليهم السلام–.

أهمية البحث.

تُعَدُّ مسألة الرواية الإسرائيلية في قصص الأنبياء في كتب التفسير ذات أهمية كبيرة؛ بوصفها أحد مصادر فهم النص القرآني.

وقد تعددت موضوعات الرواية الإسرائيلية فيما يتعلق بقصص الأنبياء والرسل، وإن تعدَّت لغيرها، لكنها هنا تمَسُّ العقيدة فيما يتعلق بتنزيه الله –سبحانه–، وبعصمة الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– الذين وقاهم الله تعالى من الخطأ مما له علاقة بطبيعة تبليغهم الذي هو وظيفتهم التي أرسلهم الله تعالى من أجلها، وليكونوا قدوة للمؤمنين.

ولهذا، كان لا بد أن تُجلّي هذه القضية بتَتَبُّع رواياتها وبيان أثرها في الاعتقاد. وحتى لا يطول البحث لكثرة قصص الأنبياء والرسل، فقد رأى الباحث أن يدرس هذه المسألة في قصة أول الأنبياء والرسل آدم عليه السلام.

مشكلة البحث.

تكمن مشكلة هذه الدراسة في دخول الكثير من الروايات الإسرائيلية كتب التفسير خصوصا ما يتعلق منها بقصص الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–، ولما كان الإيمان بالرسل ركنا من أركان الإيمان؛ فإنه يجب تنقية قصصهم مما علق بها مما يؤثر في عقيدة المسلم؛ ولهذا جاءت هذه الدراسة لتجيب عن الأسئلة الآتية:

١- ما المقصود بالرواية الإسرائيلية؟
٢- ما الإسرائيليات الواردة في خلق آدم وصورته؟
٣- ما أثر هذه الإسرائيليات في خلق آدم على الاعتقاد؟
٤- ما الإسرائيليات المتعلقة بأكل آدم وزوجه من الشجرة؟
٥- ما الآثار العقدية المترتبة على هذه الروايات؟
٦- ما الإسرائيليات المتعلقة بنسبة آدم إلى الشرك؟
٧- وما خطورتها على الاعتقاد بعصمة آدم نبياً؟

أهداف البحث.

١- بيان مفهوم الرواية الإسرائيلية وحكمها، وتحليل خطرها على العقيدة.
٢- مناقشة الآثار العقدية المترتبة على الرواية الإسرائيلية في خلق آدم عليه السلام خصوصاً.

٣- بيان الرواية الإسرائيلية المتعلقة بصورة آدم ﷺ، وخطورة ما ورد فيها بالنسبة لتنزيه الخالق -سبحانه-.
٤- بيان خطورة الرواية الإسرائيلية فيما يتعلق بعقيدة عصمة آدم ﷺ عن الشرك نبيّاً.

منهج الباحث.

١- المنهج التاريخي ومنهج النقد الحديثي من خلال المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع الروايات الإسرائيلية ذات الصلة بالموضوع جمعاً وحكماً.
٢- المنهج الوصفي والتحليلي، وذلك من خلال وصف هذه الروايات وتحليلها ببيان إشكالياتها وآثارها ونتائجها وخطورتها.

تقسيم البحث.

مقدمة.

تمهيد: مفهوم الإسرائيليات وعلاقتها بالعقائد.

المطلب الأول: الرواية الإسرائيلية في خلق آدم وصورته وآثارها العقدية.

المطلب الثاني: الرواية الإسرائيلية في أكل آدم ﷺ وزوجه من الشجرة وآثارها العقدية.

المطلب الثالث: الرواية الإسرائيلية في نسبة الشرك لآدم وحواء وخطورتها العقدية على عصمة آدم ﷺ نبيّاً.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصيات الباحث.

تمهيد: مفهوم الإسرائيليات وعلاقتها بالعقائد.

لن أخوض هنا في التعريفات اللغوية والاصطلاحية والتعريف المركب الإضافي للرواية الإسرائيلية؛ ففيه دراسات وأبحاث وكتب متعددة، لكن وبشكل عام فإن مجموع تعريفات العلماء لمصطلح الرواية الإسرائيلية، أو ما يطلقون عليه اختصاراً الإسرائيليات يمكن جمعه في تعريف واحد مختصر جامع مانع هو: الروايات الدخيلة والموضوعة الواردة في كتب التفسير مما لا يصح. والمراد بـ مما لا يصح، أي: لم تصح نسبته إلى النبي ﷺ سنداً ومتناً. أما نسبته إلى الإسرائيليات مع أنه قد يرد من غير طريق اليهود الذين أسلموا؛ فيوضح ذلك الذهبي بأن هذا من باب التغليب أي: أن أغلب هذه الروايات عن بني إسرائيل، وأنها لا تقتصر في مصدرها على المصادر اليهودية، بل تطلق أيضاً على ما روي من المصادر النصرانية، فالنصرانية أيضاً دين، لكن الثقافة اليهودية تعتمد على التوراة وكُتب بني إسرائيل. وأكثر رواة الإسرائيليات كانوا يهوداً من بني إسرائيل؛ ولهذا غلب تعبير الإسرائيليات على تلك المرويات عن أهل الكتاب، كما كان أشهر الناقلين لها يهوداً أسلموا، بعضهم صحابة، وأكثرهم تابعون، أشهرهم: عبد الله بن السلام، وكعب الأحبار، ووهب من مُنَبّه، وعبد الملك ابن عبد العزيز بن جُريج(١).

ومصطلح الإسرائيليات مصطلح متأخر عن عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم، وإنما أشار إليه بعد ذلك المفسرون والمؤرخون كابن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ) وابن خلدون، وأصبح يقصد بالإسرائيليات حديثاً مفهوماً أوسع لتشمل الدخيل في التفسير والموضوعات. وذهبت دائرة المعارف الإسلامية إلى عدّ المرويات المتصلة بمرويات التفسير النقلي من المصادر اليهودية في جميع عصورها مع مزيج من الأديان الأخرى، والثقافات الأخرى إسرائيليات أو سمّتها بالإسرائيليات(٢).

والعقائد أهم موضوع يمكن أن يكون للرواية الإسرائيلية أثر وخطورة فيها؛ لأن بني إسرائيل لم يتركوا التوراة صحيحة في عقائدها عند نزولها على موسى عليه السلام.

ولم تُكتب في زمن موسى، وإنما جرى عليها من التأليف والتحريف والفهم البشري في صياغتها وترجمتها، وتوالي عصورها، وعلاقاتها وتأثراتها بالبيئات المختلفة والمتعددة، والأطوار والعصور في حياة بني إسرائيل. والعقائد لا تتحمل مثل هذا التغيير والتحريف البشري، والتأويل البشري والتأثر بالعقائد الوثنية والشعبية في البيئات المختلفة. ومن ثم كان لعبارات أهل الكتاب في العقائد وقصص الأنبياء وقصص الماضي ما كان؛ فالقليل بل النادر منه كان يوافق الإسلام، ولكن التفاصيل زائدة جداً عما ورد في القرآن والسنة، فضلاً عن أن كثيراً منها مُشوَّش، وفيه تفصيلات مُمِلّة ولا داعي لها، ولا تزيد الإيمان بل تشوشه، بل والأكثر مما روي عندهم كان يتعارض مع تنزيه الله –سبحانه–. وغالب قصص الأنبياء في الرواية الإسرائيلية مُخلّة بعصمة الأنبياء والرسل، وتتهمهم في أخلاقهم وسلوكهم بما يتعارض مع مبدأ إرسالهم وبعثهم ليكونوا قدوة لأتباعهم المؤمنين برسالاتهم.

وما سَلِمَ نبي ولا رسول من هذه الرواية الإسرائيلية المسيئة في الاعتقاد وفي تنزيه الله، وفي العصمة ونحن نقتصر في هذا البحث على الرواية الإسرائيلية وأثرها في الاعتقاد فيما ورد في آدم عليه السلام الذي كان أبا البشرية جميعاً.

المطلب الأول: الرواية الإسرائيلية في خلق آدم وصورته عليه السلام وآثارها العقدية.

أولاً: أ) ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة في خلق آدم وصورته:

١- ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنه بعد خلق الأرض وما فيها استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات، وأنه عرض على الملائكة ما يريد من خلقه للإنسان خليفة على الأرض. ولكن لم يبيّن الفترة الزمنية بين خلقه للسموات والأرض واستوائه على العرش وخلقه للملائكة، وخلق أول إنسان خليفة على الأرض، وهو آدم عليه السلام.

قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**[البقرة ٢٩- ٣٠] وأشار –سبحانه– إلى أول خلق لهذا الإنسان وهو آدم من طين ومن تراب، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسان مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾**[المؤمنون: ١٢] وقال –سبحانه– مبيناً غرور الشيطان؛ إذ إنه خلقه من نار وتكبره على السجود لآدم لأن مادة خلق آدم من طين: **﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾**[ص: ٧٦]، وأن هذا الخلق مرّ في مراحل الصلصال من الحمأ المسنون،: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسان مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾**[الحجر: ٢٦]، والحمأ المسنون هو الطين المحمى، والصلصال إذا جَفّ وأصبح يَرنّ –يخرج له صوت– إذا ضربت عليه، ثم سواه الله ونفخ منه من روحه ليصبح إنساناً كاملاً في أحسن تقويم، كما في قوله تعالى: **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾**[الحجر: ٢٩].

وجاءت الآيات في خلق آدم ضمن منهج القرآن في تعريف البشرية بعَظَمة الخالق –سبحانه–، في خلقه للإنسان من التراب في أحسن تقويم، وخلقهِ له فيما بعد ذلك من ماء دافق، أي: من نطفة الرجل وبويضة المرأة في مرحلة الجنين، ثم ليكون طفلاً وبالغاً يتحمل المسؤولية، وليقوم بدوره عابداً لله تعالى معمّراً لهذا الكون، مُستخلفاً فيه. وقدّم القرآن معلومات عن هذا الإنسان في خلقته وما فيها من غيب ماض وحاضر ومُستقبل ما يكفي هذا الإنسان مما تتحمله فطرته من معرفة، وما

تستلزمه وظيفته من علوم. ولم يدخل في تفاصيل خلق آدم إلا ضمن هذا الهدف من القصص القرآني، سواء كان ذلك في آيات القرآن الكريم، أو في أحاديث رسوله الكريم ﷺ.

ولكننا وجدنا في كتب التفسير من المأثور تفاصيل كثيرة ومتشعبة. ويبدو أن أكثر هذه التفاصيل مما ورد في أحاديث الصحابة، وكثير منها في روايات التابعين، وقليل جداً منها في الصحيحين: البخاري ومسلم. ويبدو واضحاً من سياق أسانيدها وتفاصيلها ومقارنتها بأسفار التوراة وخصوصاً سفر التكوين وسفر الخروج أنها إسرائيليات أو من روايات بني إسرائيل. وبعض ما فيها وهو قليل موافق لما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، وهو مؤكد لما عندنا، ولسنا بحاجة إليه؛ لأن مراجعنا العليا هي الكتاب والسنة، ومنها وبعض ما فيها تفاصيل لا تؤثر على العقيدة ايجاباً ولا سلباً، وهو واقع في دائرة: لا تصدقوهم ولا تكذبوهم. وكثير منها ومما فيها تأثير سلبي على اعتقاداتنا بتنزيه الله تعالى، وعصمة أنبيائه ورسله –عليهم السلام– مما سأشير إليه عند تحليل النصوص وبيان آثارها العقدية السلبية–.

٢- ورد في السنة الصحيحة ما يؤكد ما ورد في القرآن الكريم من خَلْق آدم عليه السلام، وَوَصْفه، ومن ذلك:

ما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً. ثم قال: اذهب فسلّم على أولئك الملائكة، فاستمع ما يُحيونك، تحيتك وتحية ذُريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن"[٣].

وحديث آخر بسنده أيضاً عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر (...) وأزواجهم الحور العين، على خَلْق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء"[٤].

وفي صحيح مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت (...) وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل"[٥]. وقد تكلم المحدثون في هذا الحديث –كما مر ذكره في هذا البحث قبل قليل–.

وذكر مسلم كذلك الحديث الذي رواه البخاري في صفة آدم وأنه ستون ذراعاً وسلامه على الملائكة وتحيتهم له، إلا أن فيه اختلافاً يسيراً عن قوله ﷺ: خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً ... الحديث"[٦].

وروى مسلم أيضاً من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: "صوّر الله آدم وتركه في الجنة ما شاء أن يتركه، فجعل إبليس يطيفُ به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خُلِقَ خلْقاً لا يتمالك"[٧].

وروى مسلم أيضاً أحاديث ينهى فيها النبي ﷺ ضرب الوجه عند القتال، مُعلّلاً في حديث منها أن الله خلق آدم على صورته أي: على صورة ذلك الذي يُضرب وجهه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وفي حديث أبي حاتم عن النبي ﷺ قال: إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته"[٨].

ذكر ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري رواية فيها تفصيل عما رواه الترمذي والنسائي والبزار، وصححه ابن حبان من طريق سعيد المقبري حديثاً مرفوعاً عن أبي هريرة: "أن الله خلق آدم من تراب فجعله طيناً ثم تركه، حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوّره ثم تركه، حتى إذا كان صلصالاً كالفخار كان إبليس يمر به فيقول: خُلِقتَ لأمر عظيم. ثم نفخ الله فيه من روحه. وكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس، فقال: الحمد لله، فقال الله: يرحمك ربك"[٩]. وذكر أيضاً أحاديث عدة بعضها في مسند أحمد. ولكن تبقى هذه التفاصيل غير مفيدة وإضافاتها محدودة إلى ما في الصحيحين ومؤكدة لما فيهما.

ومما يُفهم أيضاً في هذا الباب، أن الضمير في الحديث في لفظ (صورته) يعود لآدم، أي: خلق الله آدم على صورة الآدمية التي هي في علم الله تعالى. فكلمة صورته هنا اسم. ويجوز أن يكون المراد أن الضمير في صورته عائد على الله تعالى، أي: خلق الله آدم على صورة الله، أي: على تصوير الله له الذي كان في علم الله تعالى قبل أن يخلقه؛ فكلمة صورته هنا بمعنى المصدر (التصوير)، وبهذا يظهر اسم الله المصور.

وحتى لو قيل: خلق الله آدم على صورة الرحمن، فلا يجوز أن يظن أنَّ آدم صورة مصغرة للرحمن؛ لأن هذا منتهى الكفر والتجسيم. لكن نقول: على صورة الرحمن، أي: على التصوير الذي أراده الرحمن؛ لأن لكل مخلوق صورة في علم الله قبل أن يخلق السماوات والأرض.

وعلى هذا فلا إشكال في رجوع الضمير على لفظ الجلالة، أو على اسم الله تعالى الرحمن، فالمراد هو تنزيه الله تعالى عن الجسمية والصورة، ولا يخالف في ذلك إلا المجسِّمة.

ب) ما ورد في الرواية الإسرائيلية في خلق آدم وصورته:

ذكر ابن كثير روايات متعددة في تفاصيل خلق آدم عليه السلام، منها ما هو وارد عند أحمد في مسنده من أن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء بينهم الأبيض والأحمر والأسود، والخبيث والطيب والسهل والحزن، ونسب مثل هذه الرواية أيضاً لأبي داود وللترمذي وابن حبان في صحيحه، وذكر روايات في تفصيل خلق الطين اللازب والمرور بمراحل الصلصال والفخار ونفخ فيه الروح من الله تعالى من غير ما يتعارض مع الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة التي مرّ ذكرها. ومنها على سبيل المثال الحديث الذي خرجه الترمذي: "عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إنّ الله خَلَق آدمَ مِن قبضةٍ قبضها من جميعِ الأرضِ، فجاءَ بنو آدَمَ على قَدْرِ الأرض: جاء منهم الأحمرُ، والأبيضُ، والأسودُ، وبين ذلك، والسَّهلُ، والحَزْنُ، والخبيثُ، والطَّيِّبُ"[١٠].

وذكر روايات أخرى كثيرة بتفاصيل كثيرة، حكم بعض المحدثين على بعضها بأنها منكرة وهي روايات إسرائيلية عن عبدالله بن سلام، وهو من مَسلمة أهل الكتاب، وفيها قصة عُمُر آدم، وأنه أعطى ابنه داود أربعين أو سبعين عاماً، وفيها اختلاف في الأرقام واضطراب في عدد السنوات.

وثمة روايات في تفاصيل إخراج الذرية بضرب الله على كتف آدم اليمنى وكتفه اليسرى، فمن خرج من الذرية من كتفه اليمنى فإلى الجنة، ومن خرج بالضرب على كتفه اليسرى فإلى النار. منها الحديث الذي رواه الإمام أحمد: "عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ ﷻ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحُمَمُ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى: إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي"[١١].

ثانياً: الآثار العقدية المترتبة على خلق آدم وصورته من الرواية الإسرائيلية:

إن ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة يكفي المسلم في تصوره لقصة خلق آدم، وفيها من المعرفة والعلم والعظة والاعتبار، ما يكفي من هدف القرآن من قصصه وهو أحسن القصص.

وإن ما جاء من تفاصيل في روايات فيها كلام، وبعضها فيه تفاصيل من روايات أهل الكتاب، ولكن تلك التفاصيل وإن كانت لا فائدة فيها سوى مزيد من الشرح والتوضيح؛ فلسنا مكلفين بها لاعتقادنا، ولسنا مكلفين بتصديقها أو تكذيبها.

وأما بعض تلك الروايات فقد أسيء فهمها، وأُسيء فهم ما ورد في السنة الصحيحة بسبب سوقها من عبارات أهل الكتاب مما ليس فيه تعظيم للخالق -سبحانه-، ولا تنزيه له عما سوّاه.

أ) إساءة فهم الصورة.

ومن تلك الألفاظ في تلك الروايات: أن الله تعالى خلق آدم على صورته، أي: صورة ربنا ﷻ، وكأنها توحي بأن الإنسان العطاس صورة مصغرة للرب -سبحانه-، وعقيدة التنزيه تقتضي مخالفة الله تعالى لما سواه **﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**[الشورى: ١١].

ولقد سبق أن أساء اليهود فهم تلك العبارات في كتبهم مثل: الصورة أو اليد أو التعبيرات من هذا النوع، مما جعل الشهرستاني يحكم بإطلاق أن التجسيم عند اليهود طباع: إذ زعموا أن الله تعالى -حاشاه- قد قال: "لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم"[(١٢)].

فإثبات الصورة لله عند من أخذ هذه الروايات وأساء فهمها، أساء معرفته لله تعالى بنسبة الصورة إليه. والصورة تركيب، والمصوَّر يحتاج إلى مُصوِّر ومُرَكِّب للصورة، وهو -سبحانه- المُصَوِّر فلا صورة له ولا مُصَوِّر له حيث يقول -سبحانه-: **﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[الحشر: ٢٤].

وأما ما جاء مما هو مُخرَّج في الصحيحين في وصف آدم وأنه ستون ذراعاً، وأن الله خلقه على صورته هذه ستين ذراعاً. وأن الله ﷻ جعل أهل الجنة على صورة آدم ستين ذراعاً، فلفظ الصورة هنا وصف لآدم وليست وصفاً لله تعالى؛ إذ كيف يصور -سبحانه- آدم المخلوق على صورته -سبحانه- الخالقة فهو -سبحانه- ليس كمثله شيء، فالصورة للمخلوق المصوَّر لا للرب -سبحانه- الخالق المصوِّر. وبهذه التعبيرات بالصورة عن آدم يريد -سبحانه- أن يُبين للناس أن آدم لما خُلِق لم يكن على هذه الهيئة من القصر من الطول والقامة كما هي ذريته الآن، وإنما كان ستين ذراعاً، وإن الله تعالى سيدخل أهل الجنةِ الجنَّةَ على تلك الهيئة والصورة والصفة التي كانت لآدم بطوله وعظم قامته، وعلى الصورة التي خلقه عليها في أول خلقه، فالنبي ﷺ حينما تكلم عن صورة آدم "أراد أن آدم كان مخلوقاً على صورته التي كان عليها بعد الخروج من الجنة، لم تشوه صورته ولم تتغيّر خلقته"[(١٣)].

فالضمير في صورته يعود على أقرب عائد مذكور وهو آدم، فلماذا يصرف فهمه ليعود على الله وهو مستحيل عقلاً وشرعاً؟

وثمة أحاديث أخرى كما في الصحيحين لم تذكر عبارة "على صورته" وإنما اكتفى به النبي ﷺ بقوله: "ستون ذراعاً".

وحديث تجنب ضرب وجه المسلم أخاه معلل بأن هذه الإهانة بضرب الوجه فيها إهانة لأبي البشرية آدم ﵇؛ إذ إن هذا الأخ المضروب هو على صورة آدم، فلا يضرب المسلم وجه الإنسانية وصورتها الكبرى في خلقة آدم؛ إذ أبرز ما يُعرف به الإنسان هو وجهه، وضرب الوجه إهانة للإنسان بكامل صورته وهيئته وصفاته.

وأما الإشكال الذي وقع بسبب رواية حديث عن ابن عمر: "لا تُقَبِّحوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن"[(١٤)]، فقد أزال إشكاله البيهقي في قوله: "ويحتمل أن يكون لفظ الخبر في الأصل كما روينا في حديث أبي هريرة، -يقصد على صورته دون ذكر كلمة الرحمن- فأدّاه بعض الرواة على ما وقع في قلبه من معناه"[(١٥)]، أي: هو وهم وقع في نفس أحد الرواة فعبّر بهاء الضمير في صورته بالرحمن ظناً منه أن هذا الضمير يعود إلى الرحمن وهذا الوهم ليس مُلزماً.

وقد ذُكر في هامش تلك الصفحة عند البيهقي تعليق لابن خزيمة على رواة الحديث بقوله: "في هذا الحديث ثلاث علل ١- الثوري خالف الأعمش وأرسل (أي: أن هبط الرواية ففيها ضعيف بالإرسال). ٢- والأعمش مُدلّس وقد عنعن ولم يقل سمعت، (والتدليس كذب يرد الحديث)، وكذلك حبيب بن أبي ثابت"[(١٦)].

ولعل من أثبت لفظ الصورة لله تعالى أغراه هذا التعبير السابق، وتعبيرٌ آخر ورد في رواية ضعيفة مضطربة في إسنادها في مسند الإمام أحمد والترمذي وقد صححها الترمذي من حديث معاذ بن جبل في حديث المقام عن رسول الله ﷺ قوله: "أتاني ربي في أحسن صورة فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري يا رب. فوضع كفَّه بين كتفيّ حتى وجدت بَرْد أنامله بين ثُديَيَّ، فتجلى لي كل شيء وعرفت ..." وذكر الحديث[١٧].

وبالتسليم بصحة هذه الرواية فإن الصورة هنا مؤولة وليست على ظاهرها؛ لأن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية"[١٨].

وهي كذلك مؤولة عند أهل النظر على وجهين:

أحدهما: أن يكون معناه وأنا في أحسن صورة، كأنه ﷺ زاده (ربنا) كمالاً وحسناً وجمالاً عند رؤيته (...).

والثاني: أنه (تعبير الصورة) بمعنى الصفة، ومعناه تلقاه بالإكرام والإجمال، فوصفه بالجمال. وقد يقال في صفات الله: إنه جميل ومعناه: أنه مُجْمِل في أفعاله"[١٩].

ب) إساءة فهم اليد لله –سبحانه–:

وأساء اليهود فهم تعبير يديّ في قوله تعالى: **﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾**[ص: ٧٥- ٧٦] فجسّموا؛ لأنهم فهموا المعنى الظاهر لليدين. وذكر الله –سبحانه– سوء فهمهم لليد وردّ عليهم بما يوجه فهم اليد صفة لله تعالى تليق به –سبحانه– كما فهمها السلف الصالح، أو صفة فعل لله تعالى بما تتعلق به قدرته من خلق مقدوراته ومخلوقاته كما عند الأشاعرة والماتريدية، فقال –سبحانه–: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾**[المائدة: ٦٤] وثبت في الحديث الصحيح من حديث حِجاج آدم وموسى –عليهما السلام– إذ خط الله له بيده[٢٠] وفيه: "... أنت آدم الذي خلقك الله بيديه ونفخ فيك من روحه...) وما جاء في حديث طلب الناس الشفاعة من آدم يوم القيامة عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك (وقال ابن عبيد: فيُلهمون لذلك) فيقولون: لو استشفعنا ربنا حتى يُريحنا من مكاننا هذا، فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ..."[٢١].

ويبدو أنه لا بد أن يفهم هذا التعبير بيديّ وبيده في سياق الكلام وهو: أن ذلك كان في سياق تكريم آدم في ردّه على إبليس الذي حقر من شأن آدم أنه خلق من طين وأنه خير منه؛ إذ خلقه الله من نار، فأعلن الله تعالى لإبليس أن آدم خير منك لأنني خلقته بيديّ، وأما سائر المخلوقات فخلقتها بقولي لها (كن فيكون).

وفي هذا المعنى ما وقع من خطاب الناس يوم القيامة بطلب الشفاعة من آدم عليه السلام لما أكرمه الله به على سائر مخلوقاته إذ خلقه بيديه، وقول موسى خطَّ الله لك بيده، فهو بمعنى إكرام الله بالتعليم، وبخط الله له في الألواح.

والذي يعزّر معنى الإكرام في تعبير الخلق لآدم بيده أنه شرفه بنسبته إلى أمره في الخلق، وفي الأحاديث إشارة واضحة لهذا التكريم في طلب الناس الشفاعة من آدم بقولهم له: "ونفخ فيك من روحه".

وكل هذه المعاني تصرف النصّ بسبب السياق عما أراد اليهود من تشبيه لله تعالى بإثبات اليد المجسمة له –حاشاه سبحانه–. وبالتالي فإن أية رواية إسرائيلية فيها هذا التعبير لليد يجب أن تُصرف عن ظاهرها، ضرورة الاعتقاد بتنزيه الله تعالى عن التجسيم إلى المعنى المناسب لها في اللغة، كما هو معهود العرب في الخطاب؛ إذ ينسبون الفعل لليد، سواء كنا

مع السلف إثباتاً لها صفة مع التنزيه وتفويض الكيفية أو مع الخلف بتأويلها إلى المعنى المناسب عند أهل اللغة بما يتناسب مع السياق الذي وردت فيه.

وعلق البيهقي في تأويل اليد بالصفة بقوله: "وقد يكون المراد باليد الصفة، ويكون المراد بالوصف تعلق تلك الصفة بما وجد من زيادة العلم، كتعلق اليد التي هي صفة لخلق آدم عليه السلام، تعلق الصفة بمقتضاها لا على معنى المباشرة. وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كون فيكون. لا تجوز عليه ولا على صفاته التي هي من صفات ذاته مماسَّةٌ أو مباشَرَةٌ، تعالى الله جل جلاله اسمه عن شَبه المخلوقين علواً كبيراً"(٢٢).

ثم شكك البيهقي في حديث الصورة الذي فيه الأنامل وحتى وجد بردهما بقوله: "وفي ثبوت هذا الحديث نظر والله أعلم"(٢٣).

المطلب الثاني: الرواية الإسرائيلية في أكل آدم عليه السلام من الشجرة وآثارها العقدية.

أولاً: ما جاء في أكل آدم وزوجه من الشجرة وخروجهما من الجنة:

أ) ما جاء في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: **﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[البقرة ٣٥-٣٨].

وقال تعالى في الموضوع نفسه: **﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾**[الأعراف: ١٩- ٢٥].

ب) ما جاء في الرواية الإسرائيلية:

والكلام واضح وكافٍ، ضمن منهج القرآن في قصص الأنبياء. ما جاء في التفسير بالمأثور وفيما تناقلته كتب التفسير بعد ذلك من الروايات الإسرائيلية في قصة آدم وأكله وزوجته من الشجرة، وهو زيادة تأكيد لا حاجة إليه بعد بيان القرآن له. وبعضها الآخر تفاصيل لا تضر بالاعتقاد، ولكن فيها مزيداً من الشرح، وهي واقعة تحت قاعدة لا تصدقوهم ولا تكذبوهم. ولكن ثمة تفاصيل أخرى يتضح فيها مخالفات عقدية نابعة من عدم تنزيه الله تعالى عند اليهود. وهذه التفاصيل عقدية خطيرة على العقيدة الإسلامية التي فيها تنزيه لله تعالى وتعظيم له.

ويعنينا هنا ما جاء في الرواية الإسرائيلية مما يخلّ بالاعتقاد:

١- ذكر الطبري في تفسيره رواية إسرائيلية وهي واضحة في إسناد روايتها إلى وهب بن مُنَبِّه، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا من اليهود، وكان يروي ما جاء عند أهل الكتاب من التوراة المحرفة ما يظنه مفيداً في تفسير آيات القرآن المجملة

في قصص الأنبياء. والرواية كما ذكرها الطبري: "حدثنا به الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر ابن عبد الرحمن مُهرِب. قال: سمعت وهبَ بن منبّه يقول: لما قال أسكن الله آدم وذريته، أو زوجته –الشك من أبي جعفر– وهو في أصل كتابه "وذريته"– ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرةً غصونها متشعِّبٌ بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخُلدهم، وهي الثمرة التي نَهى الله آدم عنها وزوجته. فلما أراد إبليس أن يستزلَّهما دخل في جوف الحية، وكانت للحية أربع قوائم كأنها بُخْتِيَّة، من أحسن دابة خلقها الله، فلما دخلت الحية الجنة، خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء فقال: انظري إلى هذه الشجرة! ما أطيبَ ريحَها وأطيبَ طعمها وأحسن لونها! فأخذت حواءُ فأكلتْ منها ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت: انظرْ إلى هذه الشجرة! ما أطيبَ ريحها وأطيبَ طعمها وأحسنَ لونها! فأكل منها آدم، فبدت لهما سوآتُهما. فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربُّه، يا آدم أين أنت؟ قال: أنا هذا يا رب! قال: ألا تخرج؟ قال: أستحيي منك يا رب. قال: ملعونة الأرض التي خُلقتَ منها لعنةً يتحوَّل ثمرها شوكاً. قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرةٌ كان أفضل من الطَّلح والسِّدر، ثم قال: يا حواء، أنت التي غرّرْتِ عبدي، فإنك لا تَحملين حَملا إلا حملتِه كَرْهاً، فإذا أردتِ أن تضعي ما في بطنك أشرفتِ على الموت مراراً. وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غرَّ عبدي، ملعونة أنتِ لعنة تتّحول قوائمك في بطنك، ولا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك، حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه، وحيث لقيك شدَخَ رأسك. قال عمر: (قيل لوهب: وما كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء"[٢٤].

٢– وثمة روايات أخرى أوردها الطبري كذلك منها: "...، عن ابن إسحاق قال: حُدثت: أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما، أنه ناح عليهما نياحة أحزنَتهما حين سمعاها، فقالا: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة. فوقع ذلك في أنفسهما. ثم أتاهما فوسوس إليهما، فقال: يا آدم هَل أدلك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى؟ أي: تكونا ملكين، أو تخلدا، إن لم تكونا ملكين في نعمة الجنة، (...) وعن ابن وهب، قال: قال: حدثني يزيد وسوسة الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها، ثم حسَّنها في عين آدم قال: فدعاها آدم لحاجته، قالت: لا! إلاّ أن تأتي ههنا. فلما أتى قالت: لا، إلا أن تأكل من هذه الشجرة. قال: فأكلا منها فبدت لهما سَوآتهما. قال: وذهب آدم هارباً في الجنة، فناداه ربه: يا آدم أمنِّي تفرّ؟ قال: لا يا رب، ولكن حياءً منك. قال: يا آدم أنَّى أُتِيت؟ قال: من قِبَل حواء أي رب. فقال الله: فإن لها عليَّ أن أدميها في كل شهر مرة، كما أدميت هذه الشجرة، وأن أجعلها سفيهةً؛ فقد كنت خلقتها حَليمة، وأن أجعلها تحمل كُرهاً وتضع كُرهاً، فقد كنت جعلتها تحمل يُسراً وتَضع يُسراً. قال ابن زيد: ولولا البلية التي أصابت حوّاء، لكان نساء الدنيا لا يَحِضن، ولكُنّ حليمات، وكن يحملن يُسراً ويضعن يُسرا"[٢٥].

٣– وذكر الطبري كذلك في تفسير آيات سورة الأعراف رواية عن أبي بن كعب –وهو كذلك من رواة الإسرائيليات–: "كان آدم كأنه نخلة سَحوق كثير الشعر، فلما وقع بالخطيئة بدت له عورته وكان لا يراها، فانطلق فارّاً فتعرضت له شجرة بشعره، فقال لها: أرسليني. فقالت: ليست بمرسلتك. فناداه ربه: يا آدم أَمِنّي تفرّ؟ قال: لا، ولكني استحييتك"[٢٦].

٤– وذكر ابن كثير حديثاً قريباً من هذا الحديث عن ابن أبي حاتم: "حدثنا علي بن الحسن، حدثنا علي بن عاصم، عن سعيد بن أبي عروة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً، كثير شعر الرأس كأنه نخلة سموق (مرتفعة)، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته، فلما نظر إلى عورته جعل يشتدّ في الجنة، فأخذت شعرة شجرة تنازعها، فناداه الرحمن: يا آدم مني تفرّ؟ فلما سمع كلام الرحمن، قال: يا رب،

٥- لا، ولكن استحياء"[٢٧].

كما روى أيضاً رواية أخرى، حدثنا سليمان بن منصور بن عمار، حدثنا علي بن عاصم، عن سعيد عن قتادة عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: لما ذاق آدم من الشجرة فرّ هارباً، فتعلقت شجرة بشعره فتوارى... آخر الحديث"[٢٨].

وحكم ابن كثير على هذه الروايات في تفسير آيات البقرة بأنها من الإسرائيليات فقال: "وقد ذكر المفسرون من السلف- كالسُدّي بأسانيده، وأبي العالية، ووهب بن منبه، وغيرهم: ها هنا أخباراً إسرائيلية عن قصة الحية وإبليس"[٢٩].

ثانياً: الآثار العقدية لهذه الرواية الإسرائيلية:

١- فيما تذكره الرواية من اختباء آدم في جوف الشجرة هروباً من أن يراه الله إساءة عقدية للإيمان بالله تعالى السميع البصير، الذي لا تخفى عليه خافية.

٢- سؤال الله آدم – كما في الرواية – دليلٌ على الإساءة إلى علم الله الذي لا تخفى عليه خافية، وأنه يعلم السر وأخفى؟! وهذا فيه إساءة لله -سبحانه-، واتهام له -سبحانه- بالجهل حيث لا يعلم – حاشاه – أين آدم، فيسأله: أين أنت.

٣- ثمَّ إن في حكم الله على الحية باللعن عقاباً لها؛ لأنها أخفت إبليس في جوفها وأدخلته الجنة التي يسكن فيها آدم وزوجته ظلماً لمخلوق حيوان غير مُكلف؟ والله تعالى لا يظلم أحداً.

٤- ثم إن في ادعاء الرواية هروب آدم ومناداة الله تعالى له: يا آدم أمِنّي تفرّ، إساءة عقدية لآدم عليه السلام إذ كيف يهرب من الله، وهو نبي يعلم أن الله على كل شيء قدير؟ وكيف يعتقد آدم أن الفرار ينجيّه من محاسبة الله له على مخالفته له بالأكل من الشجرة وقد نهاه عن الأكل منها.

٥- وكيف يفاجأ الرب -سبحانه- بأن آدم عُريان، وهو -سبحانه- يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم السرّ وأخفى، ويعلم ظاهر كل شيء وباطنه، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم؟!

٦- هذه الروايات هي تماماً ما ورد في سفر التكوين من وصفٍ لهذه الحوادث بما لا يليق بجلال الله تعالى وكمال صفاته حيث ورد فيه {سمعا (يعني: آدم وحواء) وقع خُطى الرب الإله وهو يتمشّى في الجنة عند نسيم النهار (...) فاختبأ الإنسان وامرأته من وجه الرب الإله بين شجر الجنة (...) فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ قال آدم: إني سمعت وقع خطاك في الجنة فخفتُ ولأني عُريان اختبأت. قال الرب: فمن أعلمك أنك عُريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أمرتك أن لا تأكل منها؟ قال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت} [سفر التكوين اصحاح ٣، فقرات ٨- ١٢].

وفي هذا الكلام تجسيم لله تعالى، ونسبة الجهل إليه- حاشاه- وهو لا يعلم أين آدم حتى يبحث عنه؟

وهو أيضاً يسأل آدم: هل أكل من الشجرة؟ و الله تعالى يعلم أنه أكل منها وهو -سبحانه- بكل شيء عليم.

وكيف يتمشّى الربّ في الجنة ويُسمَع صوت وقع خطواته؟!

أي تعظيم لله وأي تنزيه له في مثل هذه العبارات؟!

٧- وكيف يلعن الله الأرض التي خلقها وهو الذي خلق منها آدم؟ وما ذنب الأرض حتى تعاقب باللعن لأن آدم أكل من الشجرة؟ وهذا هو نفسه ما ورد في سفر التكوين {وقال لآدم: لأنك سمعت لصوت امرأتك فأكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؛ تكون الأرض ملعونة بسببك} [سفر التكوين اصحاح ٣ فقرة ١٤- ١٦].

٨- ومما روته الرواية الإسرائيلية أيضاً في تحديد نوع الشجرة التي أكل منها آدم روايات كثيرة منها: أنها شجرة المعرفة أو العلم، وقد نهى الله عنها آدم عن الأكل منها؛ حتى لا يصبح علمه بالخير والشر مثل علم الله تعالى، ولهذا لما أكل من الشجرة قال الله تعالى كما تذكر أن التوراة المحرفة {وقال الرب: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا يعرف الخير والشر (...) ولعله يمدّ يده إلى شجرة الحياة أيضاً فيأخذ منها ويأكل فيحيا إلى الأبد}(٣٠).

المطلب الثالث: الرواية الإسرائيلية ونسبة الشرك لآدم وحواء وخطورتها العقدية على عصمة آدم عليه السلام نبياً.

أولاً: ما جاء في تفسير الطبري من الرواية الإسرائيلية في نسبة الشرك لهما.

نقل ابن جرير الطبري روايات إسرائيلية كثيرة في تفسير قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[الأعراف ١٨٩- ١٩٠].

وأشهر تلك الروايات حديث نسبه إلى الإمام أحمد(٣١) ونصه: "حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمّيه عبد الحارث(٣٢) فإنه يعيش، فسمّته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره"(٣٣).

وأورد هذا النص ابن كثير كذلك في قصص الأنبياء، وعلق على رواية أحمد بقوله: "وهكذا رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم عند هذه الآية، وأخرجه الحاكم في مسنده، كلهم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث، فقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يوثقه. فهذه علة قادحة في الحديث: أنه روى موقوفاً على صحابي. وهذا أشبه أنه تلقاه من الإسرائيليات. وهكذا روي موقوفاً عن ابن عباس. والظاهر أن هذا متلقّى عن كعب الأحبار وذويه"(٣٤)، وهم من أهل الرواية للإسرائيليات.

كما روى ابن جرير قصة إبليس مع حواء في حملها دون أن يعلق على هذه الروايات سوى أنه حاول أن يعلل اتخاذها إبليس شريكاً بأنه شريك لولدهم في الاسم، وأنه ليس شرك ألوهية أو عبادة أو شركاً في طاعته(٣٥)، أو أن المقصود هو وقوع ذريته من بعده بالشرك (٣٦).

ثانياً: ابن كثير والرواية الإسرائيلية في نسبة الشرك لهما.

والحقيقة أن ابن كثير قد خدم هذه القضية خدمة رائعة؛ إذ جاء بروايات ابن جرير في القضية وبسائر رواياتها وأسانيدها ونقدها نقداً حديثياً علمياً(٣٧)، وأثبت أنها من الإسرائيليات وهي خطيرة على اعتقاد الأنبياء وعصمتهم؛ إذ إن النبي معصوم عن الشرك بالله، وهو في حقه مستحيل إذ يتناقض مع بعثته؛ إذ الهدف منها هو دعوة البشر إلى توحيد الله تعالى وعبادته، ومحاربة الشرك، فكيف يدعوهم للشرك ويقع هو فيه؟! ولأهمية رد هذه الروايات عند ابن كثير وإثبات أنها من الإسرائيليات فسأثبتها بنصها من تفسير ابن كثير مع مزيد خدمتها والإشارة إلى توثيقاتها من قبل الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه وخدمته لتفسير ابن كثير، وهي كما يأتي:

في تفسير الآيتين السابقتين ١٨٩-١٩٠ من سورة الأعراف: يقول ابن كثير: "ينبِّه تعالى أنه خلق جميع الناس من

آدم ﷺ، وأنه خلق منه زوجته حواء، ثم انتشر الناس منهما، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النساء: ١]، وقال في الآية الكريمة: وخلق منها زوجها، أي: ليألفها ويسكن بها، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[الروم: ٢١] فلا أُلفة بين روحين أعظمُ مما بين الزوجين، ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه.

وقوله تعالى: (فلما تغشاها) أي: وطِئها، فمرت به،وذلك أول الحمل لا تجد المرأة له ألماً، إنما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة.

وقوله: فمرت به، قال مجاهد: استمرَّت بحمله. ورُويّ عن الحسن وإبراهيم النَّخعي والسُّدِّي، نحوه.

وقال ميمون بن مهْران، عن أبيه: استخفَّته.

وقال أيوب: سألت الحسن عن قوله: فمرت به، قال: لو كنتَ رجلاً عربياً لعرفت ما هي، إنما هي: فاستمرَّت به. وقال قتادة: فلما أثقلت؛ استبان حملها. وقال ابن جرير: معناه؛ استمرت بالماء، قامت به وقعدت(٣٨).

وقال العَوْفي، عن ابن عباس: استمرَّت به، فشكت: أحملت أم لا؟

فلما أثقلت: صارت ذاتَ ثِقَلٍ بحملها.

وقال السُّدِّي: كبُرَ الولدُ في بطنها: ﴿**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾: بشراً سوياً، كما قال الضحاك، عن ابن عباس: أشفقا أن يكون بهيمة. وكذلك قال أبو البَخْتَري، وأبو مالك: أشفقا أن لا يكون إنساناً.

وقال الحسن البصري: لئن آتيتنا غلاماً ﴿**صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ يذكر المفسِّرون ها هنا آثاراً وأحاديث سأوردها وأُبيِّنُ ما فيها، ثم نُتبعُ ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله، وبه الثقة.

قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة، عن النبيِّ ﷺ قال: "لمَّا ولَدتْ حواءُ طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمِّيه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمَّته عبد الحارث فعاش، كان ذلك من وحي الشيطان وأمره" (٣٩).

وهكذا رواه ابن جرير، عن محمد بن بشار – بُندار – عن عبد الصمد بن عبد الوارث، به(٤٠).

ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية، عن محمد بن المُثنَّى، عن عبد الصمد، به. وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، عن قتادة(٤١).

"والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يُحتجُّ به، ولكن رواه ابن مَرْدويه من حديث المعتمر، عن أبيه، عن الحسن، عن سَمُرة مرفوعاً، فالله أعلم.

الثاني: أنه قد رُويَ من قول سَمُرة نفسه ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، عن أبيه. وحدثنا ابن عُليّة، عن سليمان التَّيمي، عن أبي العلاء بن الشّخّير، عن سَمُرة بن جُندُب قال: سمَّى آدمُ ابنه عبد الحارث"(٤٢).

الثالث: أن الحسن نفسه فسَّر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سَمُرة مرفوعاً لما عدل عنه. قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: جعلا له شركاء فيما آتاهما، قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم(٤٣).

وحدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن مَعْمَر قال: قال الحسن: عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده، يعني: جعلا له شركاء فيما آتاهما(٤٤).

وحدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى؛ رزقهم الله أولاداً فهوَّدوا ونصَّروا(٤٥).

وهذه أسانيدٌ صحيحةٌ عن الحسن –رحمه الله–، أنه فسَّر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية. ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره، لا سيما مع تقواه للهِ وورعه، فهذا يدُلُّكَ على أنه موقوفٌ على الصحابي، ويَحتمِلُ أنه تلقَّاه من بعض أهل الكتاب مَنْ آمن منهم، مثل: كعب أو وهب بن مُنبِّه وغيرهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، والله أعلم.

فأما الآثار: فقال محمد بن إسحاق بن يسار، عن داود بن الحُصَين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً، فيُعبِّدهم لله، ويُسمِّيهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاها إبليسُ وآدمُ، فقال: إنكما لو سمَّيتُماه بغير الذي تسميانه به لعاش، قال: فولدت له رجلاً فسماه عبد الحارث، ففيه أنزل الله يقول: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) إلى قوله: (فجعلا له شركاء فيما آتاهما) إلى آخر الآية(٤٦).

وقال العَوْفي، عن ابن عباس: قوله في آدم: {هو الذي خلقكم من نفس واحدة} إلى قوله: {فمرت به} شكَّت: أحبِلَتْ أم لا؟ (فلما أثقلت...)، فأتاهما الشيطان، فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون، أبهيمةٌ أم لا؟ وزيَّن لهما الباطل، إنه غَويٌّ مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تُسمِّياه بي لم يخرج سوياً، ومات كما مات الأول، فسمَّيا ولدهما عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: (جعلا له شركاء فيما آتاهما).

وقال عبد الله بن المبارك، عن شَريك، عن خُصَيف، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس في قوله: **﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾** قال: قال الله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾** آدم **﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾** فأتاهما إبليس لعنه الله فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتُكما من الجنة، لَتُطيعاني أو لأجعلنَّ له قرنَيْ أيل، فيخرج من بطنك فيشقُّه، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ –يخوفهما– فسمَّياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً. ثم حملت الثانية، فأتاهما أيضاً فقال: أنا صاحبكما الذي فعلتُ ما فعلتُ، لتفعلُنَّ أو لأفعلَنَّ– يخوفهما– فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت الثالثة، فأتاهما أيضاً، فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: **﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾**، رواه ابن أبي حاتم. وقد تلقَّى هذا الأثر عن ابن عباس جماعةً من أصحابه، كمجاهد، وسعيد بن جُبير، وعكرمة، ومن الطبقة الثانية: قتادة، والسُّدِّي، وغيرُ واحدٍ من السلف وجماعةٌ من الخلف، ومن المفسِّرين من المتأخرين جماعاتٌ لا يُحصون كثرةً، وكأنه –والله أعلم– أصله مأخوذٌ من أهل الكتاب، فإن ابن عباس رواه عن أُبيّ بن كعب، كما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الجُماهر، حدثنا سعيد –يعني ابن بشير– عن عقبة، عن قتادة، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبيّ بن كعب قال: لمَّا حملتْ حواءُ أتاها الشيطان فقال لها: أتُطيعيني ويسلَمُ لكِ ولدُكِ، سمِّيه عبد الحارث، فلم تفعل، فولد فمات، ثم حملت، فقال لها مثل ذلكن فلم تفعل، ثم حملت الثالثة، فجاءها فقال:

إن تطيعيني يسلم، وإلا فإنه يكون بهيمة، فهيبهما فأطاعا"[٤٧].

وهذه الآثار كما علق عليها ابن كثير بقوله: "يظهر عليها –والله أعلم– أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم"[٤٨][٤٩].

ثم بيّن ابن كثير الموقف من هذه الأخبار الإسرائيلية بقوله: "ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام، فمنها ما علمنا صِحَّته بما دلَّ عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله، ومنها ما علمنا كَذِبَه بما دلَّ على خلافه مع الكتاب والسنة أيضاً، ومنها ما هو مسكوتٌ عنه، فهو المأذون في روايته بقوله ﷺ: "حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[٥٠] وهو الذي لا يُصدَّقُ ولا يُكذَّب؛ لقوله: "فلا تصدُّقوهم ولا تكذِّبوهم" وهذا الأثر هل هو من القسم الثاني أو الثالث؟ فيه نظر: فأما من حدَّث به من صحابيٍّ أو تابعيٍّ فإنه يراه من القسم الثالث.

وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري –رحمه الله– في هذا، والله أعلم، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته؛ ولهذا قال الله: (فتعالى الله عما يشركون) وذكر تعالى آدم وحواء كالتوطئة لِما بعدَهما من الوالدين، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس، كما قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾**[الملك: ٥]، ومعلومٌ أن المصابيح وهي النجوم التي زُيِّنتْ بها السماء، ليست هي التي يُرمى بها، وإنما هذا استطرادٌ من شخص المصابيح إلى جنسها، ولهذا نظائر كثيرةٌ في القرآن، والله أعلم"[٥١].

والحقيقة أن هذه الروايات من حيث قصة إبليس مع حواء وآدم في حمل حواء وتسميتها له عبد الحارث أي: عبد الشيطان يجعل هذه الروايات ساقطة وغير مقبولة لمخالفتها العقدية لعصمة الأنبياء. وهي ليست واقعة في دائرة قبولها، ولا في دائرة "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم" بل هي واقعة في دائرة رفضها رفضاً قاطعاً؛ لأنها تسيء إلى تفسير الآية الواردة، ومقصود الآية في نسبة الشرك ليس إلى آدم وحواء حتى تقبل الآية تفسير الإسرائيليات لها، وإنما المقصود من إتيان الشرك هنا في الآية هو في ذرية آدم من العرب وغيرهم؛ إذ كان الأولى لذرية آدم من نسل أبويهم آدم وحواء ألا يقعا في الشرك، فأبواهم آدم وحواء مؤمنان بالله وموحِّدان له –سبحانه–. ويفسر هذا ما جاء بعد ذلك من الآيات التي تتلو في السورة نفسها في قوله تعالى: **﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾**[الاعراف: ١٩١–١٩٧].

ثالثاً: الإمام الرازي يحذّر من القصة الإسرائيلية:

وقد ذكر رواية الشيطان هذه من الإسرائيليات الإمام الرازي وهو بصدد تفسير هذه الآيات من سورة الأعراف وعدّها تأويلاً فاسداً، من وجوه متعددة عقلياً ولغوياً، وأظهر الوجه العقدي في عدم قبول هذه الرواية؛ لما لها من أثر سلبي على عصمة النبي فقال: "إن الواحد منا لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح فجاءه إنسان ودعاه إلى أن يسميه بمثل هذه الأسماء (يقصد عبد الحرث أي: عبد الشيطان) لزجره وأنكر عليه أشد الإنكار، فآدم ﷺ مع نبوته وعلمه الكثير الذي حصل له، وتجاربه التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لأجل وسوسة إبليس، كيف لم يتنبه لهذا القدر؟ وكيف لم يعرف أن ذلك من الأفعال المنكرة التي يجب على العاقل الاحتراز منها"[٥٢]. ويستحيل على آدم أن يفعل هذا وهو نبي يستحيل

عليه الشرك؛ ذلك أن هذه التسمية بعبد الحرث للولد سواء كانت على طريق العَلَمية أو طريق الوصفية تفيد أنه "اعتقد أن لله شريكاً في الخلق والتكوين، وذلك يوجب الجزم بتكفير آدم! وذلك لا يقوله عاقل" (٥٣).

واستغرب قول من قال من المفسرين إن تسميته بعبد الحرث أو عبد الحارث كان شركاً في التسمية وليس شركاً في العبادة كما فعل الشوكاني وعلّل لذلك بأنهما "قصدا أن الحرث كان سبب نجاة الولد كما يسمى الرجل نفسه عبد ضيفه"!(٥٤).

الخاتمة.

توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

١- لا يصح الاعتماد على شيء من الرواية الإسرائيلية في مرحلة بناء التصور الإسلامي والتربية الإسلامية في محاضن التربية الأولى.

٢- أساءت الرواية الإسرائيلية فهم ما ورد في القرآن والسنة من العبارات المنسوبة لله تعالى كاليد، وخلق آدم على صورته؛ إذ أغرت من يقولون بالتشبيه وبأن لله تعالى -حاشاه- صورة؛ مع أن المقصود بالصورة في الحديث هي صورة آدم، وخلق الله تعالى لآدم بيده تدل على قدرة الله وأمره، وتمييزه عن سائر مخلوقاته التي خلقها بقوله كن؛ وذلك تكريماً له.

٣- أساءت الرواية الإسرائيلية في تفاصيل أكل آدم عليه السلام من الشجرة، مع أن النص واضح في القرآن الكريم ولا يحتاج هذه التفصيلات المُخِلّة بعدل الله عز وجل، والمسيئة إلى صفاته -سبحانه-.

٤- كما أساءت الرواية الإسرائيلية بنسبتها الشرك لآدم عليه السلام ولزوجه؛ لما يتعارض مع عصمته نبياً، وأساءت تفسير الآيات المتعلقة بذلك الموضوع مع أن المقصود في نسبة الشرك بها إلى إخلال المشركين من ذريتهما بعدهما باتخاذهم شركاء لله تعالى.

__كما يوصي الباحث بـ:__

١- كتابة أبحاث ودراسات في الآثار العقدية للرواية الإسرائيلية -بصفة عامة- في تفسير القرآن الكريم.

٢- عمل بحوث ودراسات في قصص كل نبي من الأنبياء والرسل بما يجلّي العقيدة الإسلامية ويبعدها عن الشبهات المتولدة عن الإسرائيليات في كتب التفسير.

٣- تنقية مراجعنا الإسلامية من الرواية الإسرائيلية حتى يتوقف إهدار الوقت والجهد في قراءة الإسرائيليات وحتى تصفو مراجعنا ومصادرنا في تفسير القرآن الكريم منها.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش.

(١) ينظر: محمد حسين الذهبي (١٩٧٧)، **التفسير والمفسرون**، القاهرة، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، (ط٢)، ج١، ص١٦٥-١٦٦، ١٨٣-٢٠٠.

(٢) ينظر: رمزي نعناعة (٢٠١٧)، **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير**، القاهرة، الازهر، ١٩٧٠م، (ط١)، ص٧٥. وينظر: أمين الخولي (١٩٦٦)، **التفسير نشأته تدرجه تطوره**، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م، (ط١)، ص٣٥١.

(٣) محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير الناصر، دمشق: دار طوق النجاة، (ط١)، ١٤٢٢هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب بدء خلق آدم وذريته، حديث رقم: ٣٣٢٦، ج٤، ص١٣١.

(٤) مسلم بن الحجاج النيسابوري(٦٢١هـ)، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة ٦، باب أول زمرة تدخل الجنة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٨٥١هـ، حديث رقم (١٥) ورقم (١٦)، ج٤، ص٢١٧٩.

(٥) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صفة القيامة، باب بدء الخلق وخلق آدم ﷺ، حديث رقم (٢٧ -٢٧٨٩)، ج٤، ص٢١٤٩.

(٦) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام، حديث رقم (٢٨٤١)، ج٤، ص٢١٨٣.

(٧) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب خلق الإنسان لا يتمالك، حديث رقم (٢٦١١)، ج٤، ص٢١٦.

(٨) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم (٢٦١٢)، ج٤، ص٢١٦.

(٩) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج٦، ص٣٦٤. وأورد الهيثمي الحديث في باب ذكر نبينا آدم أبو البشر، حديث رقم: ١٣٧٤٧، وقال عنه: رواه أبو يعلى، وفيه إسماعيل بن رافع قال البخاري: ثقة مقارب الحديث، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح. ينظر: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٨، ص١٩٧.

(١٠) محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى(٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر (ج١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، (ط٢)، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم٢٩٥٥. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. كما روى هذا الحديث غير واحد من أصحاب السنن مثل: أحمد وأبو داوود وابن خزيمة. وينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ)، **قصص الأنبياء**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، القاهرة، ، دار التأليف، ١٩٦٨م، (ط١)، ص٣٩-٤١.

(١١) أحمد بن حنبل، (٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م، (ط١)، باب من حديث أبي الدرداء، حديث رقم: ٤٧٤٨٨، ج٤٥، ص٤٨١. قال الهيثمي: وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. الهيثمي، **مجمع الزوائد**، باب فيما سبق من الله في عباده، ج٧، ص١٨٥. وينظر: ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص٤١، ٤٢.

(١٢) سفر التكوين ١: ٢٦-٢٨. وينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم من آدم إلى إبراهيم**، لبنان، دار العلوم، ٢٠٠٤م، (ط١)، ص٣٢.

(١٣) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، **كتاب الأسماء والصفات**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، (ط١)، ص٣٧٠.

(١٤) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٣م، (ط٢)، باب عبدالله بن عمر، حديث رقم: ١٣٥٨٠، ج١٢، ص٤٣٠. وينظر: أبو الحسن علي ابن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ)، **الصفات**، تحقيق: عبد الله الغنيمان، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠١هـ، (ط١)، باب لا تقبحوا الوجه، حديث رقم ٤٨، ص٣٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إسحق ابن إسماعيل الطالقاني وهو ثقة وفيه ضعف، ج٨، ص١٠٦.

(١٥) البيهقي، **الأسماء والصفات**، ص٣٧١.

(١٦) **المرجع السابق**، هامش ص٣٧١.

(١٧) الترمذي، **سنن الترمذي**، باب ومن سورة ص، ج٥، ص٣٥٨، حديث رقم: ٣٢٣٥، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١٨) البيهقي، **كتاب الأسماء والصفات**، ص٣٧٦.

(١٩) **المرجع السابق**، ص٣٨٠. وينظر: تأويلات أخرى وأعلى معانيها الصورة، ص ٣٧٦.

(٢٠) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب حِجاج آدم وموسى –عليهما السلام–، حديث رقم (١٣، ١٥)، ج٤، ص١٦٢١–١٦٢٢.

(٢١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، حديث رقم ٣٢٢، ج١، ص١٨٠.

(٢٢) البيهقي، **الأسماء والصفات**، ص٣٨٠ –٣٨١.

(٢٣) **المرجع السابق**، ص٣٨١.

(٢٤) محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، **تفسير الطبري**، تحقيق: محمود وأحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الرسالة، ٢٠٠٠م، (ط١)، ج١، ص٥٢٦. وهذه الرواية من الإسرائيليات وهي واضحة في إسناد روايتها إلى وهب بن مُنَبِّه، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا من اليهود، وكان يروي ما جاء عند أهل الكتاب من التوراة المحرفة ما يظنه مفيداً في تفسير آيات القرآن المجملة في قصص الأنبياء. ولم أجد لهذه القصة أثراً في كتب الحديث.

(٢٥) **المرجع السابق**، ج١، ص٥٢٩. وهذه الروايات لم أجدها في كتب الأحاديث وهي إسرائيليات ذكرها الطبري في أخبار الملوك، وفي تفسيره، وهي في كثير منها عن الصحابة الذين أسلموا من أهل الكتاب.

(٢٦) **المرجع السابق**، ج٨، ص١٠٥– ١٠٦. وينظر: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، باب بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، (ط١)، حديث رقم ٣٠٣٨. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و قال الذهبي في التلخيص: صحيح، ج٢، ص٢٨٨.

(٢٧) ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج١، ص٢٣٦. ولم أجد في كتب الحديث إلا الحديث السابق بنصه، ولم يرد فيها سموق.

(٢٨) **المرجع السابق**، ج١، ص٢٣٦. وعلق ابن كثير على هذا الحديث وضعفه فقال: "هذا حديث غريب وفيه انقطاع بل إعضال بين قتادة وأبي بن كعب. وعند مراجعة أسانيد هذا الحديث نجد في رواته بين متروك الحديث ومدلس وضعيف ومجهول الحال، وفي كتب الرجال بيان.

(٢٩) **المرجع السابق**، ج١، ص٢٣٦. وكلها إسرائيليات لم أجد لها أصلا في الصحاح والمسانيد.

(٣٠) ينظر: أحمد عصام الكاتب، **عقيدة التوحيد في فتح الباري**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ، (ط١)، ص٣٧٢. وينظر: الخالدي، **سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم**، ص٨١.

(٣١) ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ٢٠٠١م، (ط١)، حديث رقم (٢٠١١٧). قال المحقق: إسناده ضعيف، عمر بن إبراهيم –وهو العبدي أبو حفص البصري– في روايته عن قتادة ضعف، والحسن مشهور بالتدليس ولم يذكر سماعه من سمرة، ج٣٣، ص٣٠٥.

(٣٢) الحارث اسم لإبليس نعوذ بالله منه.

(٣٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، باب ومن سورة الأعراف، حديث ٣٠٧٧، قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ج٥، ص٢٦٧.

(٣٤) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص٥٤.

(٣٥) ينظر: الطبري، **تفسير الطبري**، ج٦، ص ص٩٩–١٠٠.

(٣٦) ينظر: **المرجع السابق**، ج٦، ص١٠١.

(٣٧) ينظر: **الروايات في الطبري**، المرجع السابق، ج٦، ص ص٩٨ –١٠٢.

(٣٨) الطبري، **تفسير الطبري**، ج١٠، ص٦١٨.

(٣٩) سبق تخريجه، هامش٣١، ٣٣.

(٤٠) الطبري، **تفسير الطبري**، ج١٠، ص٦٢٣.

(٤١) الترمذي، **صحيح الترمذي**، سبق تخريجه، هامش٣٣.

(٤٢) الطبري، **تفسير الطبري**، ج١٠، ص٦٢٣.

(٤٣) **المرجع السابق**، ج١٠، ص٦٢٩.

(٤٤) **المرجع السابق**، ج١٠، ص٦٢٩.

(٤٥) **المرجع السابق**.

(٤٦) أخرجه الطبري في التفسير، ٦٢٤/١٠ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به. ولم أجد له أصلاً في الصحاح والمسانيد، فهو من الإسرائيليات التي كثر ذكرها في قصص الأنبياء عند بعض المفسرين وكتاب التاريخ مما نُقل عن وهب وأبي وغيرهما.

(٤٧) ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج٣، ص ص٤٨٦-٤٨٩.

(٤٨) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، باب حديث أبي نملة، حديث رقم ١٧٢٢٥.ج٢٨، ص٤٦٠.قال الشيخ شعيب: إسناده حسن، ابن أبي نملة -وذكر في بعض الروايات أن اسمه نملة-: روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٤٨٥/٥ في إحدى النسخ، ولم يطلع المزي ولا الحافظ على هذه النسخة، فلم يشيرا إلى وروده في "الثقات"، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، غير أبي نملة فلم يخرج له سوى أبي داود.

(٤٩) ابن كثير، **التفسير**، ج٣، ص ص٤٨٦-٤٨٩.

(٥٠) الإمام أحمد، **المسند**، باب مسند أبي هريرة، حديث رقم: ١٠١٣٠، قال المحقق: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عمرو -وهو ابن علقمة الليثي- فهو حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، ج١٦، ص١٢٦.

(٥١) ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج٣، ص ص٤٨٩-٤٩٠.

(٥٢) محمد بن عمر الفخر الرازي (٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، (ط٣) (ط١)، ج١٧، ص٤٢٥.

(٥٣) **المرجع السابق**.

(٥٤) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، **فتح القدير**، دار الخير، دمشق، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، (ط١)، ج٢، ص٣١٤.